إنّ السفر إلى الولايات المتحدة والدرس في جامعة من جامعاتها ما كانا يخطران لي ببال. فمن وجّه أخي ليعود إلى لبنان حين عاد فيغيّر مجرى حياتي على النحو الذي ذكرت؟

دخلت الجامعة عام ١٩١٢ وقد رسمت لحياتي خطّة ما كانت الأولى أرسمها فتعبث بها الأيّام. ولكنني ظننتها هذه المرّة الخطّة المثلى والأخيرة. فسأحصل على شهادة المحاماة بعد أربعة أعوام وأعود إلى لبنان حيث المحامون الحاملون شهادات جامعيّة يُعَدّون على الأصابع في تلك الأيّام. فيكون لي شأن ويكون لي مقام.

أنهيت دروسي ونلت شهادتي عام ١٩١٦. ولكن أرفع مقام بلغته شهادتي في حياتي ما كان أكثر من غلاف بسيط وضعتها فيه. وهي ما تزال حتى الساعة نائمة في غلافها نوم الأبرار. فطريقي إلى لبنان كان مسدوداً من سائر الجهات. إذ كانت الحرب العالميّة الأولى في أشدّ استعارها. وما أنا أشعلت نارها. فمن أشعلها ليسدّ في وجهي باب العودة إلى بلادي ويقلب خطتي رأساً على عقب ويغير مجرى حياتي؟ وما كفاني أن سدّ في وجهي باب الأوبة إلى بلادي حتى وجدتني في شهر أيار من سنة ١٩١٨ جنديّاً في الجيش الأميركي مسوقاً إلى الجندية بنظام التجنيد الإجباري.

أنا جندي وعلى جنبي حربة وفي كتفي بندقية؟!.. أنا